

الفصل الرابع من شعيب إلى يحيى

شعيب

سيدنا شعيب عليه السلام: ورد ذكره في القرآن الكريم عشر مرّات، منها، قوله تعالى: ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ﴾^(١)، وكان أهل مدين عربًا كفّارًا، يقطعون الطريق، ويخيفون المارة، ويبخسون الناس أشياءهم، وهم أصحاب الأيكة، وتقع مدينتهم على حدود مصر الشرقية، في وقت كانت فيه فلسطين إقليمًا مصريًا، وذكر ابن عبد البر^(٢) أنّ سلمة بن سعد العنزي رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلم، وانتسب إلى عنزة، فقال: "نِعْمَ الْحَيُّ عَنزَةٌ، مَبِغِيٌّ عَلَيْهِمْ مَنْصُورُونَ رَهْطُ شُعَيْبٍ، وَأَخْتَانُ مُوسَى"^(٣).

وسيدنا شعيب هو نبي الله المبعوث إلى مدين^(٤)، وأرسل بعد هود وصالح ولوط - عليهم السلام -، وأهل مدين هم أصحاب الأيكة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا

(١) سورة الأعراف ٧: ٨٥.

(٢) أبو عمر، يوسف بن عبد الله، النمرى، القرطبي، المالكي (٣٨٦ - ٤٦٣ هـ) حافظ المغرب، مؤرخ، أديب، باحث، له مؤلفات كثيرة، أشهرها الاستيعاب في أسماء الأصحاب، والاستذكار. انظر: الأعلام ٨ / ٢٤٠، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣١٥.

(٣) الاستيعاب ٢ / ٦٤٤.

(٤) مدين: مدينة قوم شعيب، على بحر القلزم، محاذية لتبوك، وهي أكبر منها، وعلى بعد ست مراحل منها، وبها البئر التي استقى منها سيدنا موسى، ويعدّها الجغرافيون العرب كورة من كور مصر القبلية، وقيل: مدين اسم القبيلة. انظر: معجم البلدان ٥ / ٧٧.

تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَبْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسْحَرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُّنكَ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا
كَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾

اضطربت أقوال المؤرخين في نسب سيدنا شعيب عليه السلام، وفي صلته بنبي الله موسى عليه السلام، وتكاد تجمع أقوال المؤرخين على أنه من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويقال: إن أمه بنت سيدنا لوط عليه السلام، وأنه كان ممن آمن بسيدنا إبراهيم، وهاجر معه، ودخل معه دمشق عليه السلام، وكان رسول الله إذا ذكر شعيبا قال: (ذَٰكَ حَطِيبُ الْعَرَبِ) ^(١).

وإدعى البعض أن شعيبا كان كبير الكهنة في قصر فرعون مصر زمن سيدنا يوسف عليه السلام، وبعد وفاة يوسف حُجِلَ كُلُّ مَتَاعِهِ إِلَىٰ قِصْرِ فِرْعَوْنَ، ومن بين ذلك المتاع عصا من أشجار الجنة كانت قد أُعْطِيَتْ إِلَىٰ سَيِّدِنَا آدَمَ عليه السلام، وأعجب شعيب بتلك العصا، وطلبها من فرعون، فأعطاه إياها ^(٢).

والمواقع التاريخية ترجح أن شعيبا كان سابقا لعصر موسى عليه السلام، وأن المفسرين المتأخرين هم وحدهم الذين قالوا: أن شعيبا هو نفسه كاهن مدين الذي أصهر إلى سيدنا موسى عليه السلام والذي جاء اسمه في الأسفار اليهودية يثرون، واسمه من أصل عربي، يعني "العظيم"، وتزعم الأسفار اليهودية أن يثرون ^(٤) جاء يزور موسى في

(١) سورة الشعراء ٢٦: ١٧٦ - ١٩١.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدرکه ٢ / ٥٦٨.

(٣) قصة الديانات ٣٠٦.

(٤) وقيل اسمه: رعوثيل، أو يثرو، أو حوياب بن رعوثيل... الكتاب المقدس ١٥٥ ح ٧

البرية في "جبل الله" وهناك بارك موسى كما بارك ملكي صادق سيدنا إبراهيم،
وقدم لله ذبيحة شارك فيها هارون وشيوخ إسرائيل^(١).

هارون

سيدنا هارون Aharon ﷺ: هو شقيق سيدنا موسى الأكبر، والمرسل معه إلى
فرعون وملئه، وكان أفصح منه لساناً، وأوضح بيناً، واسمه مأخوذ من اسم الإله
المصري "حورس"، ورد اسمه كثيراً في القرآن الكريم مقروناً باسم شقيقه، ولم يكن
له معجزاته، وكان أول حبر، ورئيس كهنة لأتباع موسى، وخلفه على رئاسة القوم
عندما ذهب ليتلقى الألواح من ربه، وتأخر موسى في النزول من الجبل، وزعم
كتاب الأسفار اليهودية أن الشعب اجتمعوا على هارون " وَقَالُوا لَهُ: قُمْ فَاصْنَعْ لَنَا
آهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، فَإِنَّ مُوسَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَضْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ، لَا نَعْلَمُ
مَاذَا أَصَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انزِعُوا حَلَقَاتِ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ
وَبَنَاتِكُمْ، وَأُتُونِي بِهَا... فَأَخَذَهَا وَصَبَّهَا فِي قَالِبٍ، وَصَنَعَهَا عِجْلاً مَسْبُوكًا، فَقَالُوا:
هَذِهِ آهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَضْعَدْتِكَ مِنْ مِصْرٍ، فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ ذَلِكَ بَنَى مَذْبَحًا
أَمَامَ الْعِجْلِ، وَنَادَى قَائِلًا: غَدَا عِيدٌ لِلرَّبِّ " (٢)، وحاشا لرسول الله أن يصنع وثناً،
ويعبده، ويضل أتباعه، والذي جاء في القرآن الكريم أن الذي صنع العجل هو
السامري، ولما نهاهم هارون عن ضلالهم كادوا يقتلونه، فاعتزلهم إلى حين مجيء
أخيه، وقص القرآن الكريم الحقيقة في فعل السامري، والحلي التي سرقها قوم
موسى من المصريين قبيل خروجهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
وَأَضَلَّ السَّامِرِيُّ ﴿٦١﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنْقَوْمِرِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ
رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ
فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٦٢﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ١٧٦، ٢٦٧، ودائرة المعارف الإسلامية ٢٠ / ٦٢٨٦، والمحيط الجامع

١٣٧٦

(٢) خروج ٣٢: ١-٦.

الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٥٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا
فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٥٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ
لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٦١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٦٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٦٣﴾
قَالَ يَنْتَظِمُونَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٦٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٦٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ
عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١﴾

وتزعم الأسفار اليهودية أنَّ هارون وأخته مريم لم يرضيا عن زواج أخيها
موسى امرأة كوشية؛ وكان هذا اعتراض على قضاء الله أضعف إيمانها، واستحقاقاً
الحرمان من الدخول إلى أرض الميعاد، فماتا في التيه.

وفي قصة موت هارون عليه السلام تفصيلات استقاها المفسرون من الرويات اليهودية؛
فزعموا أنَّ موسى وهارون اكتشفا كهفًا، ينبعث منه نور، فدخلاه، وفيه وجدا
عرشًا ذهبيًا منقوشًا عليه "لمن يناسبه"، ولم يناسب موسى، وعندما جلس عليه
هارون قبض ملك الموت روحه، وكان عمره آنئذ ١٢٧ سنة، ورجع موسى إلى
قومه بدون أخيه؛ فاتهموه بقتله إلا أنَّ الله أرسل ملائكة تحمل نعش هارون،
وأعلنت براءة موسى من دم أخيه.

وفي رواية أخرى أنَّ موسى أخذ قومه إلى قبر أخيه الذي أعيد إلى الحياة ليرئى
أخاه من قتله ^(٢)، وكل هذه الأساطير لا أصل لها.

(١) سورة طه ٢٠: ٨٥-٩٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٠٢٤، والمحيط الجامع ١٣٣٨.

يوشع بن نون Joshua: ومعنى اسمه "الله يخلص، أو الرب يعطى الخلاص"، وتعدد أسماؤه في النصوص الدينية؛ فيقولون يشوع، ويهوشواع، وهوشع، وهو غلام سيّدنا موسى ﷺ أو مساعده، ومن الراجح أنّه مصرى الأصل، والمولد، والنشأة، وحتى لو أخذنا برواية نسبه المخلتق في الأسفار اليهودية فإنهم ينسبونه إلى سبط أفرائيم، وأفرائيم هذا هو الابن الثاني لسيّدنا يوسف ﷺ من زوجه المصرية أسنات بنت فوطيفارح كاهن أون^(١) فهو إن لم يكن من أبوين مصريين فمن المؤكد أنّ الدماء المصرية تجري في عروقه من جهة جدته.

ذكره القرآن الكريم غير مصرح باسمه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أُتْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٠٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٠٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمَنَّهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٠٥﴾﴾^(٢).

وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، اختاره موسى ﷺ أولاً قائدا لجنوده، وانتدبه لقتال العماليق، فانتصر عليهم^(٣)، ثم أصبح خليفته من بعده، وعهد إليه بقيادة القوم إلى أرض فلسطين، وفي السفر المعنون باسمه، والذي يأتي مباشرة بعد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ، يضعه مؤلف السفر في مكانة سامية تساوى مكانة موسى ﷺ؛ فالله يكلمه كما كلم موسى، ويوحى إليه، ويأمره بالالتزام بها أنزل على موسى، ويمكن أن نميز في سفر يشوع ما يأتي:

(١) تكوين ٤١: ٥٠.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٦٠-٦٥.

(٣) خروج ١٧: ١٣.

✿ تَمَّ على يديه، وتحت قيادته فتح أجزاء كثيرة من أرض فلسطين.
✿ قَسَمَ الأرض - التي فتحت والتي لم تفتح - على الأسباط الاثني عشر
وصرفهم إليها.

✿ كان يوشع واحداً من اثنين احتجَّاً على التقرير الذي كتبه الاثنا عشر جاسوساً
عن أرض كنعان، وتسبب في تمرد الشعب؛ لهذا كانت لهما نعمة الدخول إلى أرض
الميعاد^(١).

✿ ينسب إليه مؤلف السفر أعمالاً يحرّمها الله، ولم يفعلها نبي قبله، ولا بعده،
ولا تقرّها شريعة، من ذلك:

أ - بعد فتح مدينة أريحا أمر يوشع بقتل كل من فيها " مِنْ الرَّجُلِ وَحَتَّى الْمَرْأَةِ،
وَمِنَ الشَّابِّ وَحَتَّى الشَّيْخِ، حَتَّى الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ، فَقَتَلُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ " ^(٢).

ب - وبعد الاستيلاء على المدينة، وقتل الأنفس الحيّة من الإنسان والحيوان
"أَحْرَقَ الْمَدِينَةَ، وَكُلَّ مَا فِيهَا بِالنَّارِ إِلَّا الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ وَأَيَّةَ النَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ فَأَيْتَهُمْ
جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ " ^(٣).

ج - يثبت أن النهب والسلب في طبع اليهود؛ فلم يتورّع القوم عن السرقة،
وإخفاء الكثير مما وقعت عليه أيديهم^(٤).

ومات يشوع بعد أن كبر وشاخ، ويقال: إنّه عاش ١٢٠ سنة، وأنّه مات ودفن
في "تمنة حارس" أي: خربة تبنة على بعد ١٥ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة
إيل^(٥).

داود

سيدنا داود David ﷺ: زعم مؤلف الأسفار اليهودية في نسبه أنّه داود بن يسّى،

(١) عدد ١٤: ٦، و٣٠: ...

(٢) يشوع ٦: ٢١.

(٣) يشوع ٦: ٢٤.

(٤) يشوع ٧: ١١.

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٧٩، والمحيط الجامع ١٣٩٧.

وهو واحد من ثمانية إخوة، كان يرعى غنم أبيه في بيت لحم، ومسحه النبي صموئيل - وتسميه المصادر العربية شمويل - بالزيت المقدس، وهذا المسح من التقليد النبوي والملكي عندهم، وكان صموئيل قد عين شاول ملكا على بني إسرائيل، ولكنه عصى ربهم، وخان العهد فغضب عليه ربهم، وحول عنه الملك إلى سيدنا داود عليه السلام، وأيده حتى أسس ملكه في أورشليم، بعد قتله جالوت - واسمه في الأسفار اليهودية جليات - ولا تكاد تتفق سيرة سيدنا داود في الأسفار اليهودية مع ما جاء في القرآن الكريم إلا في هذه الحادثة، وحادثة القضية التي امتحن فيها سيدنا داود عليه السلام إذ تسور عليه المحراب خصمان يطلبان حكمه ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبِيُّ الْوَيْسِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (١١) إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وأهدنا إلى سواء الصراط ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (١٢) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليتغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتنته فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَقَابَرٍ ﴾ (١٣) يندأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴿ (١)

ورواية الأسفار لهذه الحادثة هي " ١ وأرسل الرب ناثان إلى داود. وعندما وفد عليه قال له: «عاش رجلا في مدينة واحدة، أحدهما ثري والآخر فقير. ٢ وكان الغني يمتلك قطعان بقر وغنم كثيرة. ٣ وأما الفقير فلم يكن له سوى نعجة واحدة صغيرة، اشتراها ورعاها فكبرت معه ومع أبنائه، تأكل مما يأكل وتشرب من كأسه وتنام في حضنه كأنها ابنته. ٤ ثم نزل صيف على الرجل الغني، فامتنع أن يذبح من غنمه ومن بقره ليعده طعاما لضييفه، بل سطا على نعجة الفقير وهبأها له». ٥ عندئذ

(١) سورة ص ٣٨: ٢١-٢٦.

اِحْتَدَمَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَى هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الْجَانِيَّ يَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ، ٦ وَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ لِلرَّجُلِ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لِأَنَّهُ اِزْتَكَبَ هَذَا الذَّنْبَ وَلَمْ يُشْفِقْ». (١)

وبعد هاتين الحادتين تختلف الرواية بينها - وأحياناً تتناقض - فمن ذلك:

✻ جاء وصفه في الأسفار اليهودية أنه كان "أصهب، جميل العينين، وسيم المنظر" (٢).

وفي قصص الأنبياء عند المؤرخين المسلمين كالطبرى، وابن كثير وغيرهما، كان "قصيراً، أزرق العينين، قليل الشعر" (٣).

✻ طمع في بثشابع زوج أورياً الحثي، بعد أن رآها تستحم عارية على السطح، وكانت جميلة جداً، فبعث في طلبها، وزنى بها، وحملت منه في الحرام، وأراد داود أن يتصل أورياً بزوجه؛ ليبدو الحمل طبيعياً بين الرجل وزوجه، ولكن أورياً أصر على اعتزال الزوج في زمن الحرب؛ فالعفة من شرائع الحرب آنذاك في زعمهم لذلك سعى داود في قتله، فبعثه بكتاب إلى قائده يوآب، وأمره في الكتاب أن يضع أورياً في موضع من المعركة يكون شديداً، وينصرف الجنود من ورائه بحيث يتأكد فيه قتله، وبعد قتله تزوج داود بثشابع، ومات الولد الذي حملت به منه، ثم أنجبت له فيما بعد سليمان (٤).

وأما القرآن الكريم فيقول عن داود ﷺ: ﴿أَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٦٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٦٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٦٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٧٠﴾﴾ (٥).

(١) صموئيل الثاني ١٢: ٦-١.

(٢) صموئيل الأول ١٦: ١٢.

(٣) تاريخ الطبرى ١ / ٤٧١، وقصص الأنبياء لابن كثير ٤٢٠.

(٤) صموئيل الثاني ١١: ٢-١٧.

(٥) سورة ص ٣٨: ١٧-٢٠.

وإظهار داود بعصيان الله، وغضب الله عليه يوحى بأمر خطير جدًا؛ ذلك أن مؤلفي الأسفار اليهودية اعتادوا الحديث بالسوء عن الأعداء، والأمم غير اليهودية، فهل يشكون في يهودية داود، وأنه ليس من بني إسرائيل بزعمهم؟

سؤال خطير، والإجابة عنه تؤكّد هذا الشك، إنهم يقولون عن داود:

✻ ارتكب فاحشة الزنا مع بتشايح، ثم تزوّجها، وحكم شريعتهم القتل "وإن أخذ رجلٌ يضايعُ امرأةً متزوّجةً؛ فليموتاً كلاهما" فلماذا لم يقتلوهما؟^(١).

✻ وبخ النبي ناتان داود، وأنذره بأنّ الربّ قال: "قتلت أوريّا الحثّي بسيف العمونيين وتزوّجت امرأته. ١٠ لذلك لن يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتني واغتصبت امرأة أوريّا الحثّي". ١١ واستطرد: «هذا ما يقوله الربّ: سأثير عليك من أهل بيتك من ينزل بك البلايا، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضايعهنّ في وضح النهار. ١٢ أنت اذكبت خطيئتك في السرّ، وأنا أفعل هذا الأمر على مرأى جميع بني إسرائيل وفي وضح النهار». ^(٢).

ونحن نكدّب هذا الكلام المنسوب زورًا وبهتانًا إلى الله ﷻ، ونستعيد بالله من هذا الكفر الصريح؛ فلا يمكن أن يأمر الله عباده بالفحشاء: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ولا يمكن أن يفضح الله نبيه على رؤوس الأشهاد، أو أن يحكم حكمًا أبديًا على نبيه بأن يرى قربه يضايع نساءه أمام عينيه، وفي وضح النهار وأن تتحمل ذريته جرائم هذا الإثم الذي لا ذنب لهم فيه.

✻ أمنون بن داود اغتصب أخته تامار، ولمّا علم داود لم يحزن ابنه؛ لأنّه كان يحبه، وكان بكره، ولم ينزل به عقوبة المغتصب وهي الرجم في شريعتهم^(٤)؛ ولكن

(١) سفر تثنية الاشرع ٢٢: ٢١.

(٢) سفر صموئيل الثاني ١٢: ٩-١٢.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٢٨.

(٤) سفر تثنية الاشرع ٢٢: ٢٤.

أبشالوم - شقيق تamar - أمر بقتل أخيه، وهرب، ثم تمرد على أبيه وجمع الشعب حوله^(١).

✽ لجأ داود إلى آكيش بن معكة ملك جت، فأسكنه صقلاج، وجعله يعمل عنده قاتلا مأجورا؛ يغزو البلاد القريبة منه، فلا يبقى على رجل ولا امرأة، ويأتيه بالغنائم حتى أصبح داود موضع ثقة آكيش الذي قال عنه: " جَعَلَ نَفْسُهُ مَمْقُوتًا مَمَقًا لَدَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ، فَصَارَ لِي عَبْدًا إِلَى الْأَبَدِ " ^(٢).

✽ خرج داود مع آكيش بن معكة لقتال اليهود، فكان في صف الأعداء ولكن مؤلف السفر فكّر في حيلة حتى لا يواجه داود اليهود في المعركة، ويقتل رجالهم، وهو مشهور عنه القوة والبأس، فجعل الفلسطينيين يطلبون من ملكهم آكيش أن يبعد داود عن المعركة؛ خوف انضمامه إلى صفوف الأعداء^(٣).

✽ كان أوريا من الحثيين، وهم أعداء اليهود، فكيف كان يعمل مقاتلا في جيش داود؟

✽ لعن شمعي بن جيرا - وهو من عشيرة بيت شاول - داود قائلا له:

" ٥ وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ إِلَى بَحُورِيمَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ هُنَاكَ يَتَمَيُّ إِلَى عَشِيرَةِ شَاوُلَ، يُدْعَى شِمْعَى بَنَ جِيرَا، وَرَاحَ يَكِيلُ لَهُ الشَّتَائِمَ، ٦ وَرَشَقَ دَاوُدَ وَرِجَالَهُ وَالشَّعْبَ الَّذِي مَعَهُ وَالْأَبْطَالَ الْمُتَتَفِّينَ عَنِ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بِالْحِجَارَةِ. ٧ وَهُوَ يَرُدُّ فِي شَتَائِمِهِ: «اُخْرُجْ! اُخْرُجْ! يَا رَجُلَ الدِّمَاءِ وَرَجُلَ بَلِيْعَالٍ! ٨ لَقَدْ رَدَّ الرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَا سَفَكْتَهُ مِنْ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ الَّذِي مَلَكَتْ عِوَضًا عَنْهُ، وَقَدْ سَلَّمَ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ إِلَى أَبْشَالُومَ ابْنِكَ. وَهَا أَنْتَ غَارِقٌ فِي سَرِّ أَعْمَالِكَ لِأَنَّكَ رَجُلٌ دِمَاءٍ.» " ^(٤).

والذي يهمننا هنا في سيرة سيّدنا داود أمران:

(١) سفر صموئيل الثاني ١٣: ١١ وما بعدها.

(٢) سفر صموئيل الأول ٢٧: ١٢.

(٣) سفر صموئيل الأول ٢٩: ٦.

(٤) سفر صموئيل الثاني ١٦: ٥-٨.

الأمر الأول: أن هناك من الباحثين من يؤكّد أنّ داود وابنه سليمان ليسا من بنى إسرائيل - بالمفهوم اليهودى - وسوف نزيد هذا الأمر تأكيدا ووضوحًا بالأدلة في سيرة سيّدنا سليمان عليه السلام.

والأمر الآخر: حكم سيّدنا داود عليه السلام نحو أربعين سنة (١٠١٠ - ٩٧١ ق.م.). منها سبع سنين في حبرون، والباقي في بيت المقدس، وأنّ مملكته كانت تدور في الفلك المصرى العملاق، وكان الفرعون يعيّن على أورشليم نائبا له يختاره " ممن ليسوا من أهل المنطقة، ثمّ يزوّجه امرأة من الطبقة الأرستقراطية المصرية، وامتدّ هذا الإجراء حتّى شمل الهاربين والخونة والمرتدّين السياسيين، وكذلك الرهائن من الأمراء، وكانوا ينشئونهم على الطريقة المصرية، ويزوجونهم بالطريقة نفسها"، وهى السياسة ذاتها التى اتبعتها الدولة الرومانية فيما بعد^(١)، والراجح أنّ داود كان واحداً من نوّاب الفرعون في أورشليم.

إنّ اسم داود يعنى: الحبيب، أو رئيس القبيلة، ويزعم اليهود - كعادتهم في تغيير الأسماء - أنّ داود هو اسم الملك حين نُصّب، وأنّ اسمه الحقيقى "الحانان، أو بعل حانان"^(٢)، وهذه تسمية وثنيّة ألصقوها زوراّ بنبى الله داود، بالرغم من أنهم يعتبرونه مؤسس مملكتهم، وهى وإن لم تعمّر طويلا فقد ظلّت - بالنسبة إليهم - النموذج والمثال، وكذلك كبرت شخصيّة داود عند الأجيال اللاحقة فصار النموذج للملوك الذين جاءوا من بعده؛ لهذا ارتبط داود بالملك المسيحانى مخلص شعبه، ومعيد بنائه، وهذا المخلّص ليس من نسل داود فقط، بل هو داود نفسه وقد عاد حيّاً^(٣)، ولذلك يقول الأنبا شنودة "إنّ داود النبى حينما وقع في الزنا، وفي القتل العمد، ثمّ قال: "أخطأت إلى الرب" أجابه ناثنان "والرب نقل عنك خطيئتك. لا تموت"، وفسّر الأنبا شنودة هذه المقولة بأنّ خطيّة العمد التى وقع فيها داود حملها المسيح^(٤).

(١) العرب واليهود في التاريخ ٦٢٩.

(٢) المحيط الجامع ٥٣٢.

(٣) المصدر السابق ٥٣٣.

(٤) سنوات مع أسئلة الناس ١٢٦.

ولسيّدنا داود عليه السلام في الإسلام صورة أخرى مخالفة لما يقوله اليهود عنه، ويمكن أن نلخص صورته في الإسلام فيما يأتي:

✽ إنّه واحد من الرسل الكبار أولى العزم الذين يتلقون الوحي من الله، والّذين أنزلت عليهم الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴾ (١).

✽ جمع الله ﷺ لداود بين الملك والنبوة، بين خير الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط، والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

✽ ألان الله له الحديد، وعلمه صناعة الدروع، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٣).

✽ وهب الله داود صوتاً حسناً حتّى كان الطير والوحش ينعكف حوله حتّى يموت عطشاً وجوعاً، وحتّى أنّ الأنهار لتقف، ولا يسمعه أحد إلاّ حجل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله؛ فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتّى يهلك بعضها جوعاً، بل ذهب بعضهم إلى أنّ داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفتّت العذارى (٤).

✽ كان يعمل كلّ يوم درعاً يبيعه بستة آلاف درهم، وقد ثبت من حديث رسول الله ﷺ: (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (٥).

(١) سورة النساء: ٤: ١٦٣.

(٢) سورة البقرة: ٢: ٢٥١.

(٣) سورة الأنبياء: ٢١: ٨٠.

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ٤٢٢.

(٥) رواه البخارى، وغيره. راجع تخريج الحديث في المصدر السابق ٤٢١ ح ٢.

﴿ استخلف الله سيّدنا داود في الأرض ليحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿يَبْدَأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١).

﴿ رفع الله من قدر داود، فغفر له، وقرب منزلته، قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَقَابِرِ﴾^(٢).

ومات داود عن مائة سنة، ورويت أساطير كثيرة في وفاته^(٣).

سليمان

سيدنا سليمان Salomon ﷺ: زعم مؤلف الأسفار اليهودية أن الرب - لما ولد لداود ابنه سليمان - أحبه " ٢٤ ثُمَّ تَوَجَّهَ دَاوُدُ إِلَىٰ بَثْشَبَعَ وَوَأَسَاها وَصَاجَعَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا دَعَاهُ سُلَيْمَانَ. وَأَحَبَّ الرَّبُّ الْوَلَدَ، ٢٥ وَأَمَرَ النَّبِيُّ نَاتَانَ أَنْ يُسَمِّي الْوَلَدَ يَدِيدِيًّا (وَمَعْنَاهُ مَحْبُوبُ الرَّبِّ) لِأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّهُ. "^(٤).

تعرّضت سيرة سيّدنا سليمان ﷺ في الأسفار اليهودية إلى نوعين من الزيف:

الزيف الأول: الحديث عن مملكة سليمان بغير الحق؛ فقد صوروها متسعة، تمتد حدودها من الفرات إلى حدود مصر، وتُحمل إليه من أهلها الجزية^(٥)...

"والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجّح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسياها الفراعنة الذين كان أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر... فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكا صغيرا، يحكم مدينة صغيرة"^(٦).

وفي الرواية الكهنوتية خلط كبير بين فضل النبوة والسلطان الدنيوي؛

(١) سورة ص ٣٨: ٢٦.

(٢) سورة ص ٣٨: ٢٥.

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٤٣٠.

(٤) سفر صموئيل الثاني ١٢: ٢٤-٢٥.

(٥) سفر الملوك الأول ٥: ١.

(٦) العرب واليهود في التاريخ ٦٢٦.

فالنبوّة لا تعنى التسلّط على الأرض، فسيدنا سليمان ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَبَغَى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿١﴾ فسخرنا له الرّيح تجرى بأمره رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢﴾ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّقَابٍ ﴿٦﴾^(١)، فعطاء الله ﷻ رسوله سلطاناً دينياً هو أمر لا علاقة له بالسلطة الدنيوية.

والزيف الآخر: زيغ سليمان عن الدين، وعبادته الأوثان؛ زعم مؤلف الأسفار اليهودية أن سيدنا سليمان أحب " ١ وَأُولَعَ سُلَيْمَانُ بِنِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ كَثِيرَاتٍ، فَضَلَّ عَنْ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَتَزَوَّجَ نِسَاءَ مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، ٢ وَكُلَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ الْأُمَمِ الَّتِي نَهَى الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الزَّوْاجِ مِنْهُمْ قَائِلًا لَهُمْ: «لَا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يُغْوُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آهَتِهِمْ». وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ التَّصَقَّ بِهِنَّ لِفِرْطِ مَحَبَّتِهِ هُنَّ. ٣ فَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ، وَثَلَاثُ مِئَةِ مَحْظِيَّةٍ، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ. ٤ فَاسْتَطَعْنَ فِي زَمَنِ شَيْخُوخَتِهِ أَنْ يُغْوِينَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آهَةِ أُخْرَى، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُسْتَقِيمًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ٥ وَمَا لَبِثَ أَنْ عَبَدَ عَشْتَارُوثَ آهَةَ الصَّيْدُونِيِّينَ، وَمَلَكُومَ إِلَهَةَ الْعَمُونِيِّينَ الْبَغِيضِ، ٦ وَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّبِّ بِكَمَالٍ كَمَا فَعَلَ أَبُوهُ دَاوُدُ. ٧ وَأَقَامَ عَلَى تَلِّ شَرْقَى أورشليمَ مُرْتَفِعًا لِكُمُوشَ إِلَهِ الْمُوَابِيِّينَ الْفَاسِقِ، وَلِمَوْلِكَ إِلَهِ بَنِي عَمُونَ الْبَغِيضِ. ٨ وَشَيْدَ مُرْتَفَعَاتٍ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ، اللَّوَاتِي رُحْنٌ يُوقِدَنَّ الْبُحُورَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّبَنَّ الْمُحْرَقَاتِ لِآهَتِهِنَّ.»^(٢)

ويستمر مؤلف السفر في ضلاله؛ فيذهب إلى أن سليمان عبد من الأوثان: عشتاروت، وملكوم، وكاموش، ومولك...

ويا لها من شبيهة معيبة، وخاتمة مردولة، لنبى من أنبياء الله، شوّه الكافرون سيرته،

(١) سورة ص ٣٨: ٣٥ - ٤٠.

(٢) سفر الملوك الأول ١١: ١ - ٨.

وبرأه القرآن الكريم من العيب، ونفى عنه الكفر، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١).

والحديث بالسوء عن سيدنا سليمان يعيد إلينا السؤال:

هل كان سليمان وأبوه من بنى إسرائيل بالمفهوم اليهودي؟

هناك شك كبير بين العلماء في نسبة هذين النبيين إلى بنى إسرائيل - وأذكركم بأن بنى إسرائيل كجنس متميز نقي في زعم اليهود لم يعد لهم وجود في هذا الزمن؛ فقد انقرضوا منذ نحو ثمانية قرون سبقت على ظهور داود وسليمان - وكثير من العلماء يتحدثون عن الهيكل الذي بناه سليمان، وزينه بعدد من الصور والتماثيل يكاد يجل عن الحصر وليس في عقائد اليهود مكان للعلم والفن؛ "ومن أجل هذا لا نجد نحنا، ولا تصويرا، ولا نقشا بعد الأسر البابلي، كما لا نجد إلا القليل منها قبل الأسر إذا استثنينا عهد سليمان الذي يكاد يكون عهدا أجنبيا عن العبرانيين"^(٢).

فإلى أي جنس ينتسب داود وسليمان؟

✻ يرى الكاتب الفرنسي جان لوى برنار Jean Lois Bernard أن سيدنا سليمان لم يكن يهوديا، وإنما كان آشوريا، وكان نائب الملك معينا من الخارج، وهو شلمانصر الذي عبرته اليهود فحوّلوا اسمه إلى سليمان، وقد اغتيل على يدهم"^(٣).

✻ الراجح أنهما أشوريان وهو جنس مختلط من العرب والأكراد، "وهذا يفسر لنا الصداقة التي ربطت سليمان بالملوك الفينيقيين الذين ساعدوه في بناء هيكله الذائع الصيت في أورشليم، ويفسر لنا كذلك الحب الذي كرّسه ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان، ولو كان يهوديا لاستحالت هذه الصداقة، ولاستحال هذا الحب إلى كراهية وبغضاء؛ لأن اليهود هم أمشاج مختلطة، كانوا منبوذين في العالم العربي، ولكن هذا العربي الكردي مرتبط روحيا بمصر... وقد تزوج بامرأة مصرية من

(١) سورة ص ٣٨: ٣٠.

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٣٧٢.

(٣) العرب واليهود في التاريخ ٦٢٩.

طبقة روحية عالية، تدين بديانة الإلهة هاتور... وإن آية الشاعر الملك الرائعة التي هي "نشيد الأنشاد" - أحد أسفار العهد القديم - الذي هو عبارة عن غزل ديني كان سائدًا آنذاك، وهو مصرى قلبا وقالبا ومنهل خالص من مناهل الأدب الصوفي المصري^(١).

ثمَّ يأتي السؤال الآخر: هل كانت المملكة التي تأسست في عهدهما - ثم انقسمت بعد سليمان دولتين، ثم زالتا - مملكة يهودية؟

المؤكد عند العلماء أنَّها لم تتوفر فيها مقومات الدولة القومية، فليس لها لغة، أو ثقافة، أو حضارة خاصة بها، بل كانت قائمة على التراث الكنعاني بالكامل^(٢).

وكانت فلسطين تعترف بالسيادة لمصر، وعندما استولى فرعون على حصن جزر الكنعاني جعله مهرًا لابنته التي زوّجها سليمان^(٣).

تسبب استخدام سليمان العمّال في جميع أشغاله بنظام السخرة وفرض الضرائب الباهظة، بالإضافة إلى نفقاته وتبذيره نغم عليه الشعب، وكان هذا سببًا في انقسام دولته الصغيرة إمارتين متصارعتين بعد موته في نحو ٩٢٣ ق.م.:

الأولى: إسرائيل في الشمال، وعاصمتها شكيم، ثمَّ بدّلوا بها ترزة فالسامرة، وتولّى عرشها يربعام الأول، وتضم القبائل الشمالية العشر، وقسمًا من قبيلة بنيامين، وبالرغم من تفوقها العددي فقد كانت تفتقر إلى اللحمة الدينية والسياسية وكثرت فيها الثورات.

والأخرى: يهوذا في الجنوب، وعاصمتها أورشليم، وتولّى عرشها رحبعام، وتضم قبيلتي يهوذا وبنيامين.

كان بين الإماراتين منذ تأسيسهما تنافس وعداء، وكان لكل منهما أيام ازدهار وانحطاط، وكان توازن القوى يميل تارة لمصلحة إسرائيل وتارة أخرى لمصلحة

(١) العرب واليهود في التاريخ ٦٣٠.

(٢) المصدر السابق ٦٣٢.

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢٠٧.

يهودا، ولمدة قرنين فقط من الزمان عملت الثورات والفتن والمكائد الداخلية على خراب الإماراتين، وإضعافهما، ثم القضاء عليهما؛ فسقطت مدينة السامرة في يد سرجون الثاني في نحو سنة ٧٢٢ ق.م. فسبى الرجال والنساء إلى ميديا، وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد^(١).

وفي التاريخ المصرى القديم ما يؤكّد أنّ مملكتى إسرائيل واليتين انقسمت إليهما مملكة سليمان كانتا خاضعتين - أو على الأقل كانتا متحالفتين - في كل الأوقات إلى واحدة من الإمبراطوريتين الكبيرتين في التاريخ القديم: البابلية في الشرق، والمصرية في الغرب، وكانت شئونهما الداخلية وسياستهما من رسم الإمبراطوريتين اللتين تأصلت فيهما الحضارة واستقرت فيهما النظم الإدارية.

وبعد أن اعتلى نخاو الثانى العرش فى سنة ٦٠٩ ق.م. فقاد جيشا صوب الفرات، وهزم يوشياس ملك يهوذا المتحالف مع البابليين، وقتله فى مجدو، وسجن ابنه، ونصّب مكانه يهوياقيم Jehoiakim (٦٠٨ - ٥٩٧) وظل يسانده بصفة خاصة ضد النبى أورى، وغيره من الانهزاميين فى اورشليم الدّاعين إلى التحالف مع الدولة البابلية، واستطاع ملكها نبوخذنصر من دخوا اورشليم، وأسر الملك المتمرد، وعيّن مكانه ابنه يهوياقين Jehoiachin ولم يحكم إلاّ ثلاثة أشهر ثم سباه نبوخذنصر مع أمّه ونسائه وموظفيه وجنوده، وعيّن مكانه صدقيا (٥٩٧ - ٥٨٦) الذى كان فى الحادية والعشرين من عمره متظاهرا بالولاء لنبوخذنصر، ولكنه استجاب لرغبة الزعماء الوطنيين، ورغب فى الاستقلال بالبلاد بمساعدة مصر، ولكن نبوخذنصر تمكّن فى سنة ٥٨٦ ق.م. من دخول اورشليم، وحمل الملك مسمول العينين إلى بابل، وسبى جميع الإسرائيليين فيها عرف بالسبى الكبير، ودمّر كلّ مدينة مهمّة فى يهوذا، وزالت من التاريخ كإمارة^(٢).

لعل سيرة سيّدنا سليمان ﷺ أكثر سير الأنبياء جميعا ارتباطا بالأساطير

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢١٣، ومعجم الحضارات ٥٨٢.

(٢) مصر الفرعونية ١٨٦، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢٢٠.

والعجائب^(١)؛ ذلك لأنَّ الله ﷻ أعطاه ملكًا لم يعطه أحدًا من خلقه؛ فقد خضع له الإنس، وسخرَّ له الجنَّ تغوص في البحار، وتستخرج منه اللآلئ، وتصنع المحاريب والتمائيل، وعلمه منطق الطير، وسخرَّ له الريح تجرى بأمره حيث يشاء، وقيل: كان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلاَّ أتاه، وكان يوضع له ستائة كرسى، ثمَّ يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثمَّ يجيء أشراف الجنَّ فيجلسون مما يلي الإنس، ثمَّ يدعو الطير فتظلمهم، ثمَّ يدعو الريح فتحملهم، فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر كامل... لا تعيننا هذه العجائب والغرائب، وإنَّنا يعيننا هنا أمران: علاقة سيِّدنا سليمان ﷺ بمصر، ووفاته.

فبالنسبة للأمر الأوَّل: سبق أن قلنا أنَّه تزوج أميرة مصرية، وأنَّه فاق أباه وكلَّ الناس في الحكمة وفصل الخطاب، وتشمل حكمته الحكمة المشهورة المأثورة عن مصر، أى العلم الخفيِّ، ويقال: إنَّ الفيلسوف الرياضى اليونانى فيثاغورس Pthagoras قد تلقَّى علمه على سليمان في مصر، وقيل: إنَّ سليمان تعلَّم السحر على يد مامبريس Mambres الساحر المصرى، وكانت قدرته على السحر متأثرة بنقش على خاتمه هو اسم الله الأعظم^(٢).

وبالنسبة للأمر الآخر: أراد الله ﷻ أن يظهر للناس أنَّه وحده الذى يعلم الغيب، ولم يؤت أحدًا من خلقه هذا العلم، وقد ظنَّ بعض الناس أنَّ الجنَّ تعلم الغيب، وتؤثِّر في حياة الناس بهذا العلم، وكان سيِّدنا سليمان يكلِّفها بالعمل، ووقف مستندًا على عصاه ولقى ربَّه، وظلَّت الجن تودى العمل المكلفه به وهى لا تعرف بموته إلى أن أكلت الأرضُ عصاه، وسقط على الأرض، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾^(٣) فسبحان الله علام الغيوب.

(١) راجع مثلاً: تاريخ الطبرى ١ / ٤٨٦ وما بعدها، وقصص الأنبياء لابن كثير ٤٣٣ وما بعدها، ودائرة المعارف الإسلامية ١٩ / ٨٥٣٨ وما بعدها.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٩ / ٨٥٣٨، نقلًا عن حسن المحاضرة للسيوطى.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ١٤.

أيوب Job ﷺ: ورد اسمه في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٍ ﴿١٠٢﴾ أَرْكُضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٍ ﴿١٠٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠٤﴾ وَخَذُ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤).

تتفق رواية الأسفار اليهودية مع القرآن الكريم في وصف سيدنا أيوب ﷺ بالعبودية لله وبالصلاح والتقوى: "كَانَ صَالِحًا كَامِلًا يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" (٥).

كما تتفق الأسفار اليهودية مع القرآن الكريم في أن الله تعالى ابتلاه في ماله،

(١) سورة النساء: ٤: ١٦٣ .

(٢) سورة الأنعام: ٦: ٨٤ .

(٣) سورة الأنبياء: ٢١: ٨٣-٨٤ .

(٤) سورة ص: ٣٨: ٤١-٤٤ .

(٥) أيوب: ١: ١٠١ .

وأولاده، وجسمه، وأنَّ الله ﷻ كشف عنه الضر عندما وجده صائراً محتسباً، حتَّى أصبح مضرب المثل بين الناس في الصبر على البأساء وقوَّة التحمل.

وكعادة المفسرين المسلمين استقوا كثيراً من الأساطير عن سيِّدنا أيُّوب من الأسفار اليهوديَّة وتفسيرها المسمَّى "هجادة"، ولا يعنينا هنا مجموعة تلك الأساطير^(١)، وإنَّها يعنينا علاقته بمصر.

تذكر المصادر اليهوديَّة أنَّ سيِّدنا أيُّوب سافر إلى مصر، وأصهر إلى أبناء سيِّدنا يوسف ﷻ؛ فتزوَّج من رحمة بنت إفرايم بن يوسف، وقيل: إنَّه تزوج من مشير - أو ماخير - بنت منسا - أو ميشا - بن يوسف ﷻ^(٢).

وفي سيرة سيِّدنا أيُّوب تستوقفنا بعض الملاحظات، منها:

❖ مَنْ أيُّوب؟ إنَّ الأسفار اليهوديَّة لم تذكر لنا سبباً على الإطلاق، ولم تذكر غير اسمه فقط، وهو أمر غير مألوف عند مؤلفي الأسفار؛ ولهذا يذهب الخورى بولس الفغالى إلى أنَّه لم يكن من بنى إسرائيل، ويفسِّر اسمه بأنَّ معناه: ذاك الَّذي نعامله كعدو، أو أين الأب؟ ويخلص إلى أنَّه بطل شعبي أو شخص تاريخي ينتمي إلى عند الآباء؛ بسبب صبره، وتحمله المصائب، يُذكرُ مع نوح ودانيال، وظلَّ ذِكْرُه حيًّا لدى الأجيال إلى أن جاء كاتب مجهول فاختره ليجسِّد من خلاله أفكاره الخاصَّة عن الألم الَّذي يعانیه الأبرار، وعن إمكانيَّة الحوار مع الله في قلب الألم الَّذي يرتبط بالخطيئة إلى نعمة وخير^(٣).

❖ لم يجد المفسرون المسلمون سبباً يذكرونه لأيُّوب؛ فتبرَّعوا بذكر نسب له إمَّا أنَّهم نقلوه من الهجادة؛ لأنَّ اليهود عندما وجدوا أوَّل السفر قوله: "عَاشِ فِي أَرْضِ عَوْصَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَيُّوبُ،" فبدَّلوا بأرض عوص اسم "عيسو"، وجاء

(١) راجع مثلاً: تاريخ الطبرى ١ / ٣٢٢ وما بعدها، وقصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٢ وما بعدها، ودائرة المعارف الإسلامية ٥ / ١٤٤١ وما بعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٥ / ١٤٤١.

(٣) المحيط الجامع ٢٢٢.

المسلمون فأخذوا عنهم ونسبوا أيوب إلى العيص بن إسحاق بن يعقوب - عليهم السلام -.

وإمّا أنّهم ألفوه من عند أنفسهم؛ ففي تفسيرهم قوله تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١)، يرجعون الضمير في ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ إلى إبراهيم، لا إلى نوح - مع أنّ القاعدة اللغويّة أنّ الضمير يعود على أقرب مذكور ما لم يقم دليل على إرادة غير ذلك - وبنوا على تفسيرهم هذا نسبة أيوب إلى العيص، واختلفوا في ذلك النسب:

فتارة هو أيوب بن موصل بن رازح بن العيص، وتارة أخرى هو أيوب بن موصل بن رعويل...، وعلى هذا النسب جعلوا أمّه بنت سيّدنا لوط عليه السلام، ولما وجدوا أنّ سيرة نبي الله لوط موثقة عادوا فنسبوه إلى رجل ممن آمن بسيّدنا إبراهيم عليه السلام يوم ألقى في النار^(٢)، وكل هذه الأنساب لا أصل لها ولا سند من علم أو دين أو تاريخ، وعلينا أن نؤمن بما نصّر عليه القرآن الكريم من أنّه نبي من أنبياء الله الكثيرين، أوحى إليه كما أوحى إلى غيره من الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في آية سورة النساء، ونؤكد أنّ الغاية من القصص القرآني العظة والعبرة لا التّاريخ ولا توثيق المعلومات؛ فلو كان جدّه رازح أو رعويل، أو كان أبوه موصّا أو بوصّا فإنّ ذلك لا يؤثّر في حقيقة نبوّته، وفي أنّه من عباد الله الصالحين المقربين، ولو كان في اسم أبيه أو جدّه نفع أو فائدة لذكره الله صراحة، والله تعالى أعلم.

﴿ جاء في سفر أيوب هذه العبارة " ٦ وَحَدَّثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَن مَثَلُ بَنُو اللَّهِ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَنْدَسَ الشَّيْطَانُ فِي وَسْطِهِمْ. ٧ فَسَأَلَ الرَّبُّ الشَّيْطَانَ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانَ: «مِنَ الطَّوَافِ فِي الْأَرْضِ وَالتَّجَوُّلِ فِيهَا». ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانَ: «هَلْ رَأَيْتَ عَبْدِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَهُوَ رَجُلٌ كَامِلٌ صَالِحٌ يَتَّقِي

(١) سورة الأنعام: ٦: ٨٤.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٢.

الله وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «أَجْمَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ ١٠ أَلَمْ تُسَيِّجْ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا يَمْلِكُ. لَقَدْ بَارَكْتَ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، فَمَلَأْتَ مَوَاشِيهِ الْأَرْضِ. ١١ وَلَكِنْ حَالَمَا تَمَكَّدُ يَدَكَ وَتَمَسُّ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ»^(١)، يثير هذا النص في أذهاننا مجموعة أسئلة، منها: من أبناء الله هؤلاء؟ وأين مثلوا أمام الرب؟ ولماذا؟ وكيف علم الشيطان بهذا المشول؟ وهل عرفوا بوجوده بينهم أو لا؟

وأخيراً لماذا تحوّل الاجتماع إلى حوار مباشر بين الله والشيطان، وانتهى بإطلاق يد الشيطان ليصيب أيوب بالمصائب والكوارث؟

نقول: من أبناء الله هؤلاء؟

سبق القول: إن الشريعة الخطيئة تحتوى على أطنان من أبناء الله في كل الأسفار تقريباً - فماذا يعنون بهذا المصطلح؟

يقول الخورى بولس الفغال: عبارة أبناء الله تدلُّ على ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: في الميثولوجيات القديمة هناك عدّة أنواع من أبناء الآلهة:

✽ الآلهة الذين يعتبرون كأبناء حقيقيين لإله آخر؛ فبعض الآلهة يعتبرون أبناء إله من آلهتهم أو بنات له، فمثلاً: في فينيقية بعل وموت هما ابنا إيل وفي بابلونية سين "القمر" هو ابن أنو.

✽ أنصاف الآلهة مثل جلجاميش، أو الملوك كما في مصر، أو رجال ظنّ الناس أنّهم وُلدوا من إله، مثل: قدموس، أوربا.

مواطنو إله، دُعِيَ المؤايئون أبناء كموش وهناك من اعتبر كموش جدّ الشعب وسيّده والمحامي عنه.

✽ كائنات يدخلون في فئة إلهوهم، أو تخص الله وبلاطه، أو تقيم بقرب الله، كأرواح الموتى، أو أناس يتمتّعون بسلطة خارقة، الملوك والقضاة.

(١) أيوب ١: ٦-١١.

والأمر الثاني: في العهد القديم: أبناء الله في الأسفار اليهودية هم أشخاص ينتمون إلى بلاط يهوه، أو جيشه، هم يخدمونه، ويعملون عمل مرسله، هم الملائكة، وفي نص سفر التكوين " ١ وَحَدَّثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢ انجذبت أنظارُ أبناءِ الله إلى بناتِ الناسِ فرأوا أنَّهنَّ جميلاتٌ فأتخذوا لأنفسِهِم مِنْهُنَّ زُوجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. " (١)، يسرف بولس الفغالي في ذكر معاني لا رابط بينها؛ فأباء الكنيسة في القرون الأربعة الأولى نقلوا عبارة أبناء الله إلى أبناء الأمراء، ولمحوا إلى خطيئة الملائكة - وأمَّا مجمل الشراح المعاصرون في يرون في هذا النص جزءًا من أسطورة قديمة رسمت حب الآلهة لنساء من الأرض، كيفها الكتاب فيما بعد بحسب النظرة الدينية في أرض إسرائيل، فما تحدت عن الآلهة بل عن أبناء الله (الملائكة) وهذا التفسير مرفوض لدى أبناء الكنيسة بعد أبناء القرن الرابع، ولدى اللاهوتيين، لأنه لا يتوافق - كما يبدو - مع التعليم حول الملائكة الذين هم أرواح، ويلاحظون أيضا أن الله في هذا الشرح لا يعاقب الخطاة أى الملائكة، بل الأبرياء أى البشر، وانتهوا إلى ما سبق القول في تفسير أبناء الله أنهم أبناء شيث، وبنات الناس هم بنات قاين.

والأمر الثالث: في العهد الجديد جميع الذين يعملون مشيئة الله هم أبناء الله سواء أكانوا يهودًا أم كانوا غير يهود، لا لأن الله خلقهم، وحماهم وحفظهم فحسب بل لأنهم دُعوا أيضا ليشاركوا في كمال الله، ويتشبهوا بأبيهم السماوى، إن المؤمنين يشاركون في هذا التشبه بالله، بالحياة الإلهية التي أعطيت لهم في العماد بروح الله؛ فيصرون أبناء الله بالتبني، ويدعونهم أباهم (٢).

وإذا رجعنا إلى نص سفر أيوب وتأملنا فهم اللاهوتيين لمصطلح أبناء الله فأى أبناء الله هؤلاء الذين مثلوا أمام الرب؟ وتظل الأسئلة التي يثيرها النص في أذهاننا بلا إجابة، لسبب واحد بسيط هو أنها مبنية على مجرد خيالات وأوهام، لا تستند على حقيقة، ولا واقع.

(١) انظر ص ٢١٣.

(٢) المحيط الجامع مادتي: "أبناء الله" ٢١، و"إلوهيم" ١٤٠.

❖ البعث والنشور في المفهوم الديني: الملاحظة الأخيرة التي تستوقفنا في سيرة سيّدنا أيّوب عليه السلام هي ما الهدف الذي أراده كاتب هذا السفر؟

من المعروف أنّ رسالات السماء ليست دعوة إلى توحيد الله وعبادته فقط، بل هي إلى جانب ذلك دعوة إلى إصلاح المجتمع، ولما كانت العيوب تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر لذلك اختلفت دعوة الإصلاح؛ فإذا نظرنا إلى المجتمع العربي قبيل البعثة المحمّدية نجده في الغالب مجتمعاً وثنيّاً، لا يؤمن ببعث أو نشور، ولا يعرف إله يحاسب الناس على أعمالهم، ولعلّ هذا هو السبب الذي يجعلنا نجد كثيراً من آيات القرآن الكريم تحدّثنا عن دهشة الكفّار من الإخبار عن الحياة الآخرة، والبعث بعد الموت والفناء، من مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١٠﴾ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿١١﴾، وقد تكرر هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم.

ولما كان المجتمع المصري يؤمن بالبعث والحساب منذ أزمان بعيدة لذلك لم يواجه سيّدنا موسى عليه السلام هذا الأمر؛ ويجمع الباحثون على أنّ الأسفار اليهوديّة خلت تماماً من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء، وأنّ بعض اليهود لا يؤمنون بالحياة الأخرى، بل يسخرون منها، ويرون أنّها بعيدة جداً؛ ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبري "أحرنيت هيتاميم" التي معناها آخر الأيام، ولم يفكّر اليهود في الغيبات إلّا في اتجاهين: الأول: نهاية العالم.

والآخر: الخلاص على يد المسيح المنتظر.

وبالرغم من خلو الأسفار اليهوديّة من الإشارة إلى البعث فإنّ أكثر مفكّري اليهود وعلماءهم يؤمنون ببعث الأحياء من الموت^(٢).

وإذا رجعنا إلى الغرض من سفر أيّوب تبين لنا أنّه تعبير عن نظرة اليهود إلى الجزاء في الدنيا، يقول بولس الفغالي: كان الإسرائيليون يعتبرون أنّ الألم هو

(١) سورة ق ٥٠: ٢-٣.

(٢) يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة ٥٤.

عقاب، ويرون في خيرات الأرض مكافأة إلهية، وفي المحنة عقاباً عن الشر، وما داموا يؤمنون بأن الإنسان يمكن أن يعاقب عن خطايا غيره (مثلاً خطايا الآباء) فكَّروا أن الواقع يثبت نظريتهم، ولكن جاء تعليم الأبناء، وأحداث النفي فبرز العنصر الشخصي في العلاقات مع الله، حينئذ بدأ المفكِّرون يعترضون على هذه الطريقة الضيقة التي بها تعامل عدالة الله البشر، ولكنهم لم يجدوا جواباً مرضياً عن ألم البار؛ لأنهم لم ينظروا إلى الأمور على ضوء الآخرة، وكان سفر أيوب محاولة من الفكر الديني للخروج من هذا المأزق، إنَّه يتضمَّن بعض المحاولات التي تتجاوز التعليم التقليدي عن الألم كمنحة للتقوى الحقيقية، كتنقية تهيئ لخيرات أكثر فيضاً^(١).

اختلف رواة السير في مدَّة ابتلاء سيِّدنا أيوب، وفي سنين عمره، ولكنهم أجمعوا على أن الله ردَّ عليه أهله وماله، ومثلهم معهم، ومتَّعه سنين طويلة، ومات وعمره ثلاث وتسعون سنة، وقيل: إنَّه عاش أكثر من ذلك^(٢).

إلياس

إلياس Elie عليه السلام: قيل هو النبي إيليا، وهو - بحسب ما يزعمه مؤلفو الأسفار اليهودية - فينحاس بن إيعازر بن هارون - ويقال: إلياسين بن ياسين عيزار بن هارون، ويقال: هو إيلياهو، وكلمة إلياس يونانية - ويقال: هو الخضر الذي وعده الله بالحياة، ولد في مصر، وخرج أبوه مع موسى عليه السلام وعمره ثلاث سنوات، وتولَّى حكم قوم موسى بعد يوشع بن نون^(٣).

ورد اسمه في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤).

(١) المحيط الجامع ٢٢٤.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٨.

(٣) تاريخ اليهود وآثارهم في مصر ٨١.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٨٥.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١] إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿٣﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٤﴾

وقد أكثر المفسرون والمؤرخون المسلمون من الحديث عن إلياس، وزعموا أن الأحياء من الأنبياء أربعة: اثنان في السماء إدريس وعيسى.

واثنان في الأرض إلياس والخضر عليهم السلام، وقيل: إنهما يجتمعان في كل عام في شهر رمضان في بيت المقدس، وأنتها يجحجان كل سنة، ويجتمعان بعرفات، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل، وقيل: إنهما عاشا حتى شهدا أول ما نزل الوحي على سيدنا محمد ﷺ.

وأكثر ما قالوه من الإسرائيليات التي لم يصح منها شيء، ولا تتفق مع القرآن الكريم، فالقرآن صريح في أن الخلد لم يكتب لأحد من البشر، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَلَيْنَ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢).

ولكن يبدو أنه عانى كثيرا من إيذاء بنى إسرائيل، وكفرهم، فحاولوا قتله؛ فهرب منهم، ودعا عليهم بالجوع والظما (٣).

ويكثر الخلط بين إلياس، وبين الخضر، وقيل: إنه القديس جرجس، مثله في ذلك مثل الخضر، وسبب هذا الخلط أن القديس جرجس (غريغوريوس) يعتبر حارسا للناس!! (٤).

الخضر

سيدنا الخضر: لم يرد اسمه لا في القرآن الكريم ولا في الشريعة الخطية، ولا يعرف له نسب، فمن قائل: إنه ابن آدم، أو ابن قابيل، أو ابن بنت فرعون، أو هو فياس بن إيعازر بن هارون... وتذكر تواريخ جد متفاوته

(١) سورة الصافات: ٣٧-١٢٣-١٢٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١-٣٤.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ٤٠٥، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ / ١١٦١.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ١١٦٤.

للزمن الذي وجد فيه، فقيل: إنه كان معاصر إبراهيم، وهاجر معه إلى أرض بابل... وقد أثبت علماء المسلمين نبوة سيدنا الخضر، والأقوال كثيرة في هذا المجال، لا يعيننا منها إلا أن سيرته مرتبطة بسيرتى إلياس، وموسى - عليهما السلام - وهما مصريان، وقيل: إن الخضر كان ابن فرعون صاحب مصر، وقيل: كان أخا إلياس، وفي سورة الكهف قصة مطولة للقاء الخضر موسى، واختلف المفسرون في شخص موسى هل هو النبي أو شخص آخر من نسل سيدنا يعقوب عليه السلام.

ولشخصية الخضر شأن كبير في الأساطير والقصص التي ربطت بينه وبين الأساطير اليونانية والفارسية والعربية؛ فهو يعيش في بيت المقدس، ويصلى الجمعة في مساجد مكة والمدينة... وقد فصل ابن كثير عشرات الأحاديث المروية عنه، ونقدها نقداً جيداً^(١).

إرميا

النبي إرميا Jérémie: لم يذكر في القرآن الكريم، وهو واحد من أنبياء إسرائيل الأربعة الكبار، وله سفر طويل باسمه، وينسبه اليهود إلى بنيامين ابن سيدنا يوسف عليه السلام، وعاش في الفترة بين (٦٥٠ - ٥٨٠ ق. م.) وعاصر فترتى السيطرة المصرية على أورشليم، ثم السيطرة البابلية، وكان مناهضاً لمبدأ التحالف مع مصر، وحذر اليهود من الذهاب إليها ولكنهم لم يطيعوه، وتروى الأعراف المسيحية القديمة أن إرميا مات شهيداً في مصر على أيدي جماعة من اليهود ساءه لومه لهم^(٢)، بعد أن أجبروه على الذهاب إليها " ٤ وَأَبَى يُوحَانَانُ بْنُ قَارِيحَ وَسَائِرُ قَوَادِ الْقَوَاتِ وَكُلُّ الشَّعْبِ طَاعَةَ صَوْتِ الرَّبِّ لِلْإِقَامَةِ فِي أَرْضِ يَهُوذَا. ٥ بَلْ أَخَذُوا كُلَّ بَقِيَّةِ يَهُوذَا الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّتِي تَشَتَّتُوا فِيهَا لِيَقِيمُوا فِي أَرْضِ يَهُوذَا، ٦ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَبَنَاتِ الْمَلِكِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ تَرَكَهُ نُبُوَزَرَادَانُ رَيْسُ الشَّرْطَةِ فِي عَهْدَةِ جَدَلِيَا

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٨٩، ودائرة المعارف الإسلامية ١٥ / ٤٦٧٦.

(٢) معجم الحضارات السامية ٦٩.

بْنِ أَحِيقَامَ بْنِ شَافَانَ، وَإِزْمِيَا النَّبِيِّ، وَبَارُوخَ بْنَ نِيرِيَا. ٧ فَأَقْبَلُوا إِلَى مِصْرَ إِذْ لَمْ يَطِيعُوا صَوْتَ الرَّبِّ. وَتَزَلُّوا فِي مَخْفَنَحِيَسَ. (١)

وجاء في مقدمة السفر - في الترجمة الأرثوذكسية - أن إرميا عاش طوال الأربعين سنة الأخيرة من حياة مملكة يهوذا، وشاهد وعانى من هجوم الجيش الكلداني على أورشليم ومملكة يهوذا، واستيلائه عليها، وسبى الشعب، ودمار الهيكل. وكان قد أُنذر وحذر الناس مما سيجرى عليهم، وتوسل إليهم أن يرجعوا إلى الرَّبِّ ويتخلوا عن آثامهم من غير جدوى. بل تعرض للمهانة والاحتقار والاضطهاد.

لم يكن لدى إرميا، في خضم الأحداث الرهيبة التي ألمت بيهوذا سوى رسالة واحدة يذيعها على مسامع الشعب: «توبوا وارجعوا إلى الله». دعاهم إلى التخلي عن الأوهام وإعطاء الله مكانته اللائقة به والتي هي من حقه، في حياة الأمة، لا شيء يمكنه أن ينقذ الشعب من مصيرهم، لا ثروتهم ولا جيوشهم، ولا رجال سياستهم، حتى ولا دينهم، إنما الله وحده هو القادر على إنقاذهم، إن دمار أورشليم يبقى تذكيراً خالداً لكل العصور على مصير الأمة التي ترفض الله، ولكن كانت لدى إرميا رسالة أخرى هي رسالة الرجاء. فمع أن شعب يهوذا قد نبذ الله، فإنَّ الله لم ينبذهم، وأنه لا بد أن يظهر قوته من أجل إنقاذهم من أسرهم (٢).

يحيى

سيدنا يحيى عليه السلام: لا يمكن الفصل بين سيرة سيِّدنا يحيى، وسيِّدنا عيسى عليه السلام؛ فهما متكاملتان، فقد جاءت قصة سيِّدنا يحيى في القرآن الكريم في سورة مريم مرتبطة بسيرة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وممهدة لرسالته، وفي سيرتها تشابه من وجوه، منها: كلاهما ولد ببشارة من الله، وكلاهما ولد بمعجزة، وكلاهما أوحى إلى المبشِّر به باعتزال الناس، وكلاهما على خلق كريم واحد، وكلاهما أوتى كتاباً من عند الله.

(١) إرميا ٤٣: ٤-٧.

(٢) مقدمة السفر ٨٨٩.

ونبدأ الحديث الأول - هنا - عن سيدنا يحيى عليه السلام، ونرجى الحديث الثانى عن
أوجه التشابه بين النبيين إلى الفصل التالى، فى سيرة سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿ أَمَّا بَشَارَةُ أَبِيهِ زَكَرِيَّا، ففى قوله تعالى: ﴿ يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ (١).

﴿ وَأَمَّا الْمِيلَادُ الْمَعْجِزَةُ ففى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي
أَمْرَأَتِي عَاقِرٌ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (٢) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَقَدْ
خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٣).

﴿ وَأَمَّا الْوَحَىٰ بِاعْتِرَالِ النَّاسِ ففى قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ
آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (٤).

﴿ وَأَمَّا الْخَلْقُ الْكَرِيمُ ففى قوله تعالى: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ (٥)
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (٦) وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا ﴾ (٧).

﴿ وَأَمَّا الْكِتَابُ ففى قوله تعالى: ﴿ يَتِيحِي خِذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحَكْمَ
صَبِيًّا ﴾ (٨).

ويجب ألا ننسى أن الكتاب الذى كُلف به سيدنا يحيى عليه السلام هو: " الرسالة النبوية
" على طريق التوراة، وليس دينًا جديدًا، ولا شريعة ناسخة لما قبلها " (٩).

ومن الترابط الوثيق بين سيرة النبيين أن المؤرخين ينسبون لأحدهما ما ينسبونه
للآخر، فقد زعم المسعودى أن أم النبی يحيى هربت به إلى مصر فرارًا من ظلم

(١) سورة مريم ١٩: ٧.

(٢) سورة مريم ١٩: ٨-٩.

(٣) سورة مريم ١٩: ١٠.

(٤) سورة مريم ١٩: ١٣-١٥.

(٥) سورة مريم ١٩: ١٢.

(٦) عقائد النصارى الموحدین ١١.

الحاكم، وذلك في الوقت الذي تنسب فيه البشائر هذه الرحلة إلى السيدة مريم أمُّ المسيح^(١).

ويطلق المسيحيون على النبي يحيى " يوحنا المعمدان Jean - Baptiste "، وهو الذي ورد ذكره في البشائر الأربعة يوحنا، ولوقا، ومتى، ومرقس، فقد ولد بمعجزة حيث بشر الملك جبرائيل والده الكاهن زكريا Zacharie بأن زوجته العاقر Elisabeth سوف تلد وهي عاقر، وقد تعدت السبعين من عمرها، وظل يوحنا يعيش في الصحراء، يمهد لمجيء المسيح، فقد جاء البشائر: " صَوْتُ مُنَادٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، وَاجْعَلُوا سُبُلَهُ قَوِيْمَةً " (٢)، " وَكَانَ يُعَلِّنُ فَيَقُولُ: يَا تَبِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، مَنْ لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ أَنْحِي فَأَفُكَّ رِبَاطَ حِذَائِهِ، أَنَا عَمَدٌ تُكْمُّ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَيَعْمَدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدْسِ " (٣).

وقصة استشهاد يوحنا المعمدان في التاريخ مشهورة جدًا، وكتبت فيها كتب كثيرة، وملخصها أن الحاكم هيرودس أنتيباس Hérode Antipas طمع في هيرودية Hérodiade زوجة أخيه هيرودس فيلبس Hérode Philippe؛ فقام بسجنه، وتزوج امرأته، وقد اعترض يوحنا المعمدان على زواج الحاكم من زوجة أخيه وهو حي.

وفي يوم عيد ميلاد الحاكم هيرودس رقصت سالومي Salomé ابنة زوجته، وبعد انتهاء الحفل طلب الحاكم من سالومي آية هدية أو مكافأة يقدمها لها، فطلبت رأس يوحنا المعمدان، بتحريض من أمها؛ ولأن كلمة الملوك لا ترد فقد أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان، وتقديمها هدية لها على طبق من ذهب^(٤).

ويقال: إنَّ يوحنا دُفِنَ في دمشق، وقال ابن بطوطة: إنَّ قبره وقبر أبيه زكريا يوجدان في المسجد الكبير بدمشق^(٥).

(١) دائرة المعارف ٣٢ / ١٠٢٠٢.

(٢) مرقس ١: ٣.

(٣) مرقس ١: ٦.

(٤) Grand LAROUSSE encyclopédique , art " Jean - Baptiste ".

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٢٠٢.

والحقيقة أنَّ قبر يوحنا المعمدان أو النبي يحيى موجود بدير الأنبا مقار، بوادى
النظرون على بعد تسعين كم غربى القاهرة؛ فقد ثبت تاريخياً أنَّه بعد أن قطعت
رأس يوحنا المعمدان فى عام ٣٣م دفن فى فلسطين، وظل هناك حتى القرن الرابع
الميلادى، وفى عصر البابا إثناسيوس، نقل رفاتة إلى الإسكندرية فى كنيسة بنيت
خصيصاً له، وسميت باسمه، وهى موجودة فى حى كرموز بجوار عمود السوارى،
وفى أوائل القرن العاشر نقل رفات يوحنا المعمدان إلى كنيسة الرُّسل بدير الأنبا
مقار، ومازال موجودا بها حتى الآن، وتوجد موثيق ومستندات قديمة بالدير
ثبت ذلك، وقد أثبت العالم الأثرى الأمريكى إيفليت وايت فى عام ١٩٢٣م حقيقة
الوثائق التى تؤكد وجود رفات يوحنا المعمدان بالدير^(١).

ويؤمن المسيحيون بأنَّ سيدنا يحيى ولد قبل المسيح بستة أشهر فى عين كارم
الحاليَّة - على بعد ٧ كم إلى الغرب من أورشليم - وهو الذى عمَّد المسيح بالماء " ٢٨
هَذَا جَرَى فِي بَيْتٍ عَنِيَا، فِي مَا وَرَاءَ تَهْرِ الْأُرْدُنِّ، حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. " (٢).

وسيدنا يحيى عندهم ليس نبيًا، ولا كاهنا كأبيه بل هو واعظ توبة فى البرية، كان
يكرز بالمعمودية لمغفرة الخطايا، وكانت متطلباته قاسية، وقالوا: إنَّ المسيح ويوحنا
كانا يتقاربان يوماً بعد يوم، وأنَّ يوحنا كان يأمر تلاميذه باتِّباع المسيح^(٣).

(١) جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٣٢٤٢، بتاريخ ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٥م.

(٢) بشارة يوحنا: ١: ٢٨.

(٣) المحيط الجامع ١٥٢٩.